# دور الإسلام الإصلاحي الجذري في مجال العلوم الإنسانية

سماحة الشيخ / أبو الحسن الندوي

www.abulhasanalinadwi.org

الطبعة الأولى

١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م

حقوق الطبع محفوظة

**دار الصحوة للنشر والتوزيع**
٧ شارع السراي - المنيل - القاهرة
أمام مسجد صلاح الدين ت:٩٨٧٩٢٤

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

## مقدمـــة

ترشح النفوس الكبيرة بالخير على كل من يتعامل معها.. مثلما تفوح الزهور بالرائحة الزكية على كل من يقترب منها!!

وكان من فضل الله عليَّ أني اقتربت من سماحة شيخنا الإمام أبي الحسن الندوي.. وقام بيننا ودّ من نوع ذلك الودّ الذي كان يربط أسلافنا العظام بتلامذتهم ومحبّيهم..

ونعمة (الحب في الله) نعمة عظمى لايعرف قدرها إلا من عاش في أكنافها وتفيأ في ظلالها وأحسّ بها تتحرك بنسائمها في نفسه كلما ذكر الذين يحبهم ويشعر بحبهم له..!!

وقد تعلمتُ من صحبة الشيخ أبي الحسن الندوي وفكره الكثير..

لكن «الدرس الأخير» الذي تعلمته من الإمام أبي الحسن هو هذا الدرس الذى علمتنيه قصة هذا البحث الوجيز..

فقد كنا في ملتقى الفكر الإسلامي العشرين بمدينة سطيف في الجزائر.. وكان الشيخ أبو الحسن أول المحاضرين..

وكان عنوان بحثه يتضمن كلمة (الثَّوْريّ) المشتقة من كلمة «الثورة».. أي أن العنوان كان (دور الإسلام الثَّوري)..

www.abulhasanalinadwi.org

- وباعتباري واحد من أبناء المنطقة العربية التى تحكمت فيها بعض الثورات، وأذاقتها باسم (الثورية) الويلات.. فضلاً عن معرفتي لبعض أبعاد هذا المصطلح في الفقه السياسي الحديث.. وهى أبعاد من وجهة نظري المحدودة.. لاتلتقي مع منهج الإسلام في الإصلاح والتغيير..

* إذْ الثورة هدم أكثر منها بناء.

* وهي - في الأعم ستار لتعطيل الشريعة وإهدار حقوق الإنسان.

* وهي علاج انفعالى يترك آثاراً سلبية.. أكثر مما يدّعيه من إيجابيات!!

* وهى تغيير ظاهرى يشبه (القرار السياسى) ولايتساوى مع منهج التغيير الحضارى الذى ينبثق من الداخل!!

* وهى تركيز على جانب.. على حساب جوانب أخرى.

* وهى في الجملة لاتنسجم مع السنن النفسية لتطور الأمم.

والتاريخ الحديث بما عجّ به من ثورات.. بدءاً من الثورة الفرنسية، وحتى مجموعة الانقلابات التى سميت ثورات في

www.abulhasanalinadwi.org

المنطقة العربية، وفي المحيط الإسلامي.. كلها تركت من الآثار المدمرة مالا يساوي واحداً في المائة مما تركته من إصلاحات كان يمكن أن تتم دون لجوء إلى هذا الأسلوب المدمر!!

كلا.. فلم يكن الإسلام ثورة.. ولن يكون.. وإن الإسلام منهج شمولى يتحرك مع الفطرة المركبة ومع الفهم الواعى للإنسان.. في أناة وود ورحمة.. كما كان يتحرك خاتم الأنبياء.. الذى قيل له في القرآن الكريم:

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللّه لِنْتَ لَهُمْ، وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ.. فَاعْفُ عَنْهُمْ، وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ، وَشَاوِرْهُم فِي الأَمْرِ﴾ .

وما عرفنا في الثورة والثوريين إلا الفظاظة وغلظة القلب، وانصراف قلوب الجماهير عنهم وإن اضطرت لمسايرتهم.. حتى الذين يزعمون الثورية باسم الإسلام!!

ولم تكن انتفاضة الشعب الجزائرى (ثورة) بهذا المفهوم الثورى السياسى.

ولن تكون انتفاضة الشعب الأفغانى المسلم ضد دولة الإلحاد السوفييتي(الامبراطورية الروسية) مجرد ثورة..

www.abulhasanalinadwi.org

وإنما الأمر أمر حركة جهادية يعتبر (الجهاد) فيها فرض عين في الحالتين.. إذْ أن الهويَّة الإسلامية في البلدين وقد هددت في وجودها.. وإننا لنسأل الله الذى نصر المجاهدين في حرب التحرير الجزائرية أن ينصر المجاهدين الأفغان، وأن يخذل الإمبراطورية الروسية الشيوعية المسماة (بالاتحادالسوفييتي)!!

إنه (جهاد) الجزائريين، وجهاد الأفغان (!!) وليس ثورة بهذا المعنى الشائع للثورة!!

ومن الطريف أننى استأذنت أستاذى الشيخ أبا الحسن الندوى في أن أعلق على بحثه.. وقد سمح لي، فقمت بالتعليق على كلمة (الثورى) وأبديت ملاحظاتى على المصطلح.. أمام الحضور في الملتقى..

وقد تلقى الشيخ ملاحظاتى وتعليقى بالترحاب، وكنتُ أشعر وأنا أتكلم أنه فرح برؤية تلميذ له يقف معلقاً على (عنوان) بحثه..

فهكذا النفوس الكبيرة والعقول العظيمة..

وقد أثّر هذا الدرس في نفسى كثيراً، وإن كنت لم أستغربه من أستاذى الشيخ أبي الحسن.. فتواضعه، وسمو خلقه، وإخلاصه لله، وتجرده.. كلها.. وغيرها. صفات أصيلة فيه

www.abulhasanalinadwi.org

يعرفها العالم الإسلامى كله.. فضلاً عن تلامذة ندوة العلماء دار العلوم (الندويين) الذين تخرجوا من هذه المدرسة العظيمة!!

وقد زاد الشيخ فكلفنى بطبع البحث وبكتابة مقدمة له، وأعطاني حق النظر في هذا المصطلح (الثورى) الذي تختلف حساسيته في بلادنا - نظراً لتجربتها المرّة - عنها في بلاد شبه القارة الهندية، إذْ الثورة عندهم - فيما يبدو لي - ترتبط بالوثوب ضد المستعمر الأجنبى فقط لامجرد «النزْو» على الحكم كما هو معروف في بلادنا (!!).. ولو أن كلمة «الثورة» وقفت عند هذه الحدود لربما تغير موقفنا بعض الشيء منها.. لكنها أصبحت (لعبة) يستبيح بها (النازون) (من النزو والنازية معاً!!) أعراض إخوانهم وأموالهم ودماءهم!!

* * *

ويقول لي الإمام أبو الحسن الندوى في إحدى رسائله:

(لقد علمت من رسالتكم أن البحث قد وصل إليكم، ولكنكم غير مرتاحين لكلمة الثورى لظروف وخلفيات تتصل بهذه الكلمة في المنطقة التى تعيشون فيها (صدقت ياشيخنا!!) وقد أبدى بعض الإخوة شبهاتهم كذلك حول كلمة (البعث) فإن هذه الكلمة غير مرحب بها لديهم (عندهم حق!!)

www.abulhasanalinadwi.org

ولاشك أن هناك دواعي لهذه الحساسية ومبررات للاشمئزاز من بعض التعبيرات التى استعملت في مواضع معينة، ولهذا فأنا لا اصرّ على هذه الكلمة، وسوف لايكون لديّ أيّ مانع في استعمال تعبير آخر، وأفضل تعبير «إصلاحى جذرى»..) (انتهى كلام شيخنا أبي الحسن..).

وانتهى الدرس الأخير من دروس النفوس التى صنعها الإسلام.. النفوس الباحثة عن الحق.. المتواضعة على علم.. التي تقدم القدوة في أقوالها وأفعالها.. والتى تعلم التلاميذ من أمثالنا كيف نسمو بالحق على الذات..

أطال الله عمر إمامنا أبي الحسن الندوى، وحفظه لمسلمى شبه القارة الهندية وللمسلمين جميعاً.. وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء..

تلميذه / عبد الحليم عويس

القاهرة الإسلامية

غرة المحرم ١٤٠٨ هـ

www.abulhasanalinadwi.org

## اعتذار وتوضيح:

في البداية أصرح بأني كنت استخذمت مصطلح الثورى، (Revolutionary) للتعبير عن دورّ الإسلام في مجال العلوم الإنسانية، لكن هذه الكلمة قد اقترنت بها سلبيات وتشنجات في غالب الأحيان، في تاريخ الحكومات والحضارات والحركات والنشاطات، وهى لاتتفق مع إيجابية الإسلام ودوره البنائى الإصلاحى ولاتليق بمصدره (الوحى الإلهى) الذى هو فوق ردود الفعل وبعيد عن كل عاطفية وحساسية ﴿ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾[1].

وقد سوغ لي في البداية استخدام هذه الكلمة تحفظ وتفصيل - ما يتصف به دور الإسلام في مجال العلوم الإنسانية والحضارة البشرية من القيام بانقلاب جذرى شامل يقوم على منهج إزالة الأنقاض، واقتلاع الجذور الفاسدة، والحشائش الطفيلية، من حقل العلم والفكر الإنسانى، وتصحيح المفاهيم، وتجلية الحقائق، ووضع البناء الجديد مكان البناء القديم في عالم العلم والعقل. لكنني ملتُ أخيراً إلى استخدام عبارة الجذريّ استبعاداً عن الظلال الكريهة لمصطلح الثورية!!.

---

(١) سورة فصلت ٤٢.

www.abulhasanalinadwi.org

## الحاجة إلى استعراض العالم القديم عقائدياً، وعقلياً، وخلقياً:

إنه لايمكن تقدير قيمة دور الإسلام الإصلاحيّ البناء حتى إلى حد محدود والإنصاف له بعض الإنصاف، والشعور بضخامة عمله بعض الشعور، وفهم الصعوبات والعوائق التى اعترضت له في تحقيق أهدافه وإكمال مهمته، إلا إذا استعرضنا العالم القديم، الذى جاء فيه الإسلام يحمل رسالته للبشرية، وإلا إذا ألقينا بعض الأضواء على الشعوب الرائدة العملاقة التى قادت العالم القديم علمياً وعقلياً، وعقائدياً، بين ٥٠٠ ق.م إلى ٥٠٠ م[٢].

---

(٢) وذلك دور ازهاد الفلسفة اليونانية، فإن سقراط ولد ٤٦٩ ق م، وعاش إلى عام ٣٩٩ ق م، وولد أفلاطون ٤٢٧ ق م، وأرسطو ٣٨٥ ق م، وبقيت المدرسة الأغريقية - في الفلسفة، والمنطق والعلوم الرياضية والطبّ والأدب - هي القدوة والموجهة بطريق مباشر للمدارس الفكرية والأدبية في الغرب والشرق، إلى القرن السادس المسيحي، وبعده عن طريق التراجم قروناً متطاولة حين تكفل العرب والفرس بنقل أفكارها وتدريس علومها وآدابها.

www.abulhasanalinadwi.org

اليونان القديمة، ودورها القيادي الساحر في عالم العلم والعقل:

وفي مقدمة هذه الشعوب الرائدة والمدارس العلمية والفكرية الموجهة للعالم كله، والمسيطرة على العقول في العالم المتحضر بين رومة في الغرب، وباتلى بترا (بتنه) في الشرق، هي (اليونان) ولانعرف في التاريخ شعباً تمتع بإجلال وتقدير، وإخضاع وتسخير، في الأوساط العلمية والفكرية، وبقى محتفظاً بالهيمنة على العقول والقرائح، والنشاطات العلمية إلى حد التقديس واعتقاد العصمة من الخطأ، لأطول مدة في التاريخ، وأفسح مساحة في الجغرافية وأوسع إطار من العلوم والآداب، بفهم ووعي، أو في دهشة وانبهار، مثل ما تمتع به اليونان.

وإلى القراء بعض الشهادات التاريخية واعترافات بعض الباحثين والفضلاء، يقول صاحب مقال «إلى أي حد يدين العالم لليونان؟» (H. A. L. Fisher) في التاريخ العام للعالم (Universal History of the world).

«إن منبع الحضارة الأوربية في الحقيقة هو اليونان القديمة، إن مفكريها وفنانيها قد بحثوا عن الإنسان في روائع فنهم، وحلوا لغزة الطبيعة، وعبروا عن الجمال، وليست هذه الحقيقة

www.abulhasanalinadwi.org

الواضحة في حاجة إلى تفصيل، إن جميع فروع العلم سواء كانت ذات صلة بالعلوم الرياضية والطب، أو بأى فرع من فروع الفلسفة، أو المنطق أو بالأخلاق وعلم النفس، أو بفرع من فروع الأدب، ترجع أصولها إلى اليونان، وإن صرفنا النظر عن النظريات التعليمية المنسوبة إلى أفلاطون وأرسطو، فإن بعض المصطلحات العلمية التى لاتزال منتشرة إلى الآن وعليها الاعتماد، مثل (Alphabet) (الألفباء) (School) (المدرسة) و (Pedagogy) (علم أصول التدريس)، هي يونانية اللغة والتعبير، وهى تكفى للدلالة على أن أهل اليونان كانوا هم الأدلاء على العلم والفن، المنيرين لسبلها[١].

ويقول العالم الغربي (W. G. De Burgh) في كتابه (تراث العالم القديم (The legacy of the ancient world):

«لم يفهم شعب حقائق الحياة والعلم إلى هذا المدى من وضوح البصيرة ونقائها، ولم يعبر عنها في هذه الدقة كما استطاع ذلك الشعب الإغريقى، إن ذكاءه المحير للعقول مكنه من عرض العلم والعمل عن طريق الكلمات والتعبيرات

---

(1) Universal history of the world' London' Vol- III P. 1555.

www.abulhasanalinadwi.org

الفلسفية إلى درجة اعتمدت الأجيال المتأخرة على الأسس التى أرساها اليونان بل أصبحت مدينة لها معترفة بفضلها في إنشاء مؤسساتها العلمية والفكرية على هذه الأسس[١] .

## الهند القديمة ومكانتها في الفلسفة والعلوم الرياضية:

ويلى اليونان الهند القديمة، ولو صرفنا النظر عما يدعيه بعض الغلاة من المؤلفين في تمجيد الهند علمياً، ورد كل عظمة وعبقرية إليها، فيقولون إن فلاسفة الهند ورياضييها كانوا أساتذة اليونان في الفلسفة والعلوم الرياضية والطب، تتلمذ عليهم علماء اليونان واقتبسوا عنهم العلوم، فلا شك أن الهند تلى اليونان في البراعة والتفوق في الفلسفة والعلوم الرياضية والطب.

يقول العالم الفاضل:(Cyril Henty Philips) (أستاذ التاريخ الشرقي في جامعة لندن) في مقال له في دائرة المعارف البريطانية (Encyclopedia Britannica)

---

(1) The Legacy of the anccient world' London' 1947 P. 117.

www.abulhasanalinadwi.org

«إن مأثرة الهند الكبرى ظهرت في المجالات الفكرية والحضارية، إن نظامهم الفلسفي والديني والأدب السنسكريتي، أول انتصار للعقل الإنساني، إن عبقريتهم تجلت في ميدان قواعد الصرف والنحو والقانون، والفن المعمارى، وصنع التماثيل والتصوير والموسيقى والفنون الجملة، والصنائع اليدوية وصنع المعادن، والتطريز، وصوغ الحلى، واستخدام العاج والخشب في المصنوعات والزخارف، والهند هي التي كشفت الأرقام إلى رقم ٩، واهتدت إلى فن العدد، والأرقام بإضافة صفر (٠) بعد رقم ٩[١].

وجاء في دائرة المعارف لتاريخ العالم، للمشرف عليها William L. Langer وهو يتحدث عن دور الهند بين ٣٢٠م إلى ٥٣٥م:

«لقد نشطت الحركة الأدبية وتضخم الإنتاج الأدبى في هذا العهد، ونبغ شاعر ككالى داس، اشتهرت قصصه وتمثيلياته ونقلت إلى عدة لغات.

---

(١) دائرة المعارف البريطانية ج/١٤، طبع ١٩٨٥م Encyclopedia Britannica

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تقدمت فنون مختلفة في هذا العهد تقدماً كبيراً، مثل الفن المعمارى والتصوير والنقش، والطب، أما في العلوم فقد وضعت أصول الهيئة والرياضيات والهندسة، وقد ادعى عالم هندى من علماء الهيئة اسمه آرية بهت (Arya Bhat) دوران الأرض[١].

إيران في سعة مملكتها وفي أوج حضارتها:

ويلى اليونان والهند، إيران، فكانت أعظم من الامبراطورية الرومانية الشرقية - بعد انشقاقها عن الامبراطورية الرومانية الكبرى - مساحة وأبهة وثروة، وقد تأسست على يد «اردشير» في سنة ٢٢٤م، وكانت تحكم حين بلغت أوجها، أسيرية، وخوزستان، وميديه، وفارس، وآذربائيجان، وطبرستان، وسرخس، وجرجان، وكرمان، ومرو، وبلخ، وسغد، وسيستان، وهرات، وخراسان، وخوارزم، من فارس القديمة والعراق واليمن من الجزيرة العربية، وقد دخلت

(1) An Encyclopedia of world history, by willam L-Langer. P. 140.

www.abulhasanalinadwi.org

بعض ولايات الهند مثل كجه، وكاتيهاوار، ومالوه، في حكمها في بعض الفترات، وقد اتسعت هذه الإمبراطورية اتساعاً كبيراً منذ القرن الرابع المسيحي، وقد أوغلت في الشمال والشرق، وبلغت إلى أقصى حدودها.

وقد كانت طيسيفون (المدائن) عاصمة الإمبراطورية ومقر الإمبراطور الإيراني وكانت مجموعة مدن كما يبدو من اسمها العربي، وقد بلغت أوجها في الرقي والمدنية والبذخ، في القرن الخامس إلى ما بعد[١].

وقد كانت إيران مأخوذة بسحر اليونان في العلوم العقلية والرياضية، متطفلة عليها، يقول الأستاذ آرتهر كرستن سين الدينماركي (Christensen, A.) في كتابه «إيران في عهد الساسانيين:

«إن الفكرة اليونانية بما فيها من عقائد ونظريات، أحدثت توافقاً بين الديانات المختلفة في غربي إيران، وبصفة عامة على تخوم آسيا الغربية»[٢].

---

١) راجع للتفصيل «إيران في عهد الساسانيين» للبروفيسور ارتهر كرستن سين (Christensen' A.)

(٢) أيضاً، ص ٣٧.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول Percy sykes في كتابه «تاريخ فارس» (A History of Persia) وهو يتحدث عن التأثير اليوناني في إيران:

«إن نوشيروان طالع كتب أرسطو وأفلاطون التي نقلت بأمره إلى الفارسية إنه أنشأ في جند يسابور (خوزستان) جامعة كانت تعنى بتدريس الطب عناية خاصة، من غير أن تصرف النظر عن الفلسفة والعلوم الأخرى، كما دوّن تاريخ إيران المعلوم في كتاب بنى عليه الفردوسي ملحمته الشهيرة، واستورد من الهند كتاباً هو السابق على حكايات لقمان، كذلك ظهر لعب الشطرنج.

لقد أصبحت إيران في هذا العهد محلاً رئيسيا لتبادل الأفكار بين الشرق والغرب[١].

ويقول العلامة الدكتور محمد إقبال في كتابه «فلسفة العجم»:

«إن الفلسفة اليونانية التي كانت نبتة أجنبية لأرض إيران، أصبحت جزءاً لاينفك من الفكر الإيراني، وأصبح المفكرون الذين جاءوا في العصور الأخيرة - بما فيهم من نقاد - يتكلمون في لغة أرسطو وأفلاطون، وكانوا خاضعين مع ذلك للأفكار الدينية القديمة»[٢].

---

(1) Ahistory of Bersia by percy sykes. p. 459 London.

(2) The Development of metaphysics in Persia, P. 15.

www.abulhasanalinadwi.org

## تناقضات عجيبة في حياة الشعوب الثلاثة القائدة للعالم:

وبعد هذا الاستعراض الوجيز للوضع العقلى الفلسفى، والعلمى الفنى السائر على أرقى شعوب العالم القديم، في القرون التى سبقت ظهور الإسلام، وتصوير القمة التى وصلت إليها هذه الشعوب والمدارس الفكرية القائدة للشعوب والمجتمعات البشرية التى كانت تعيش على فتات مائدتهم، وتتناول كل ما تقدمه إليهم هذه المدارس ـ بمعناها الواسع – من نظريات علمية، ونتائج بحث وتأملات – كنهاية للعلم والذكاء، وكأمور بديهية في بعض الأحيان لاتتسع للبحث والنقاش، نبحث – فنجد عجباً – عن بعض مواضع الضعف، وعن تناقضات في حياتهم العقلية والثقافية، ونظام تفكيرها وسلوكها، وما لا يتفق مع هذا السمو العقلى والتحليق الفكرى، وفتوحاتها العلمية البعيدة، وإنجازاتها وانتصاراتها الباهرة للعقول في مجالات العلوم الإنسانية.

www.abulhasanalinadwi.org

## مجموع أساطير (الميثالوجية) عند اليونان:

فمن أكبر تناقضات العقل البشري، بل من أكبر تناقضات التاريخ العقائدى والثقافى، ما عرفت به اليونان من التسفل فيما يتصل بمعرفة فاطر هذا الكون ومدبره، وذاته وصفاته، وفي العقائد الدينية والإلهيات فقد تبين من تاريخ اليونان القديم، أن اليونان التى منحت العالم تراثاً واسعاً من العلوم الطبيعية والرياضية، وتولت قيادة الدول العقلية والفكرية لآلاف من السنين، (كما تقدم في السطور الماضية) ظلت تعبد الكواكب والأصنام في معظم أجزاء تاريخها، وكانت فريسة الأوهام والخرافات الكثيرة، وكان عندها استعداد عجيب - بجوار استقلالها الفكرى وعدم خضوعها للمسلمات القديمة من غير بحث ونقاش وعرضها على محك العقل والنقد - لقبول كل غريب ومناف للعقل، وما كان من نسج الخيال، إذا كان ذا صلة بالعقيدة والديانة الشعبية القديمة.

إن التاريخ الجديد قد أزاح الستار عن وجه علم الأصنام (Mytholoty)†في اليونان ووثنيتها القديمة، فقد تحقق أن اليونان القديمة كانت ترزح تحت نير الآلهة و الإلهات، ومعابد

www.abulhasanalinadwi.org

الكواكب وهياكلها[١] .

يقول الدكتور الفرد ويبر (Alfred Weber) في كتابه «تاريخ الفلسفة» وهو يتحدث عن اليونان القديمة:

«وبالضبط كما أن طفلاً يجعل محيطه عالماً طلسمياً، ويعتبر لعبه التي يلعب بها وحصانه الخشبي كائنات حية، كذلك يكون النوع البشري في طفولته الطبيعية خاضعاً

---

(١) وقد غفل عن هذه الحقيقة التاريخية كثير من المتكلمين المسلمين الذين أعطوا الفلسفة اليونانية أكثر مما تستحق من التقدير والإجلال، وصاروا يبحثون في قضاياها كقضايا علمية، وقد نبه على هذه النكتة أستاذنا العلامة السيد سليمان الندوي إذ قال:

«وعلى كل حال فالفسلفة التي تلقاها المسلمون على أيدي الناقلين من يهود ونصارى لم تكن صافية محضة، فإنها كانت مشوبة بآرائهم، وأوهن بيوت الفلسفة فلكياتها وإلهياتها، فليست أولاهما إلا تأويل ما كان يعتقده اليونان في تأله الكواكب وأساطيرها، فجعلوها فلسفة وعبروا عنها بكلمات فلسفية ولم يجدوا لها سلطاناً من البرهان غير نزر يسير من الأوهام، كالقول بالأفلاك وحركاتها وطبائعها ونفوسها وتأثيرها في القوى، (الجزء الثالث من كتاب «المعتبر في الحكمة الإلهية لأبي البركات هبة الله ابن علي البغدادي (م٥٤٧هـ) مقالة العلامة السيد سليمان الندوي» ص/٢٣١).

www.abulhasanalinadwi.org

لتصوراته وأهوائه (وذاك شأن اليونان في العهد القديم)[١] .

«إن الفلسفة لم تخلع عنها لباس الأساطير والخرافات (Mytholoty) في وقت قريب، إن الفلسفة ظلت تعبر عن أفكارها في لغة الشعر الغنائية، ولم تزل محافظة على نقائص العقائد الدينية التى انبثقت عنها»[٢] .

ويقول الفاضل الألمانى الدكتور ويلهم وينسل (Wihelm Vansel) في كتابه «مختصر تاريخ فلسفة اليونان:

«إن اليونانيين كانت العبادة في حياتهم أكثر من الثقافة والعقائد، لذلك لم يكن عندهم نظام معترف به من العقائد، لقد ورثوا ميثالوجية قديمة كانت تقبل التغير والتطور على حسب الأزمنة والأدوار، وكانت تخييلات [illegible] والشعراء لاتزال تغير هيئتها»[٣] .

.ويقول الفاضل أدولف هولم (Adolf Holm) في كتابه «تاريخ اليونان»:

---

(١) تاريخ الفلسفة ص ٨.

(٢) تاريخ الفلسفة ص ١١.

(٣) أيضاً ص ١٤.

www.abulhasanalinadwi.org

«كان اليونان بطبيعتهم مغرمين بالطرافة وحب كل شيء جديد، ولم يكن في دينهم نصيب للعقائد الثابتة»[١] .

انتباه بعض كبار علماء الإسلام لهذه الحقيقة:

وقد أحسن حجة الإسلام الإمام الغزالى (ت٥٠٥هـ) وصف هذا التناقض العجيب في مدارك العقلاء الأذكياء اليونانيين، فيقول في حديثه عن آراء الفلاسفة اليونانيين فيما يتصل بالذات الإلهية وصفاتها، وما صنفوه من نسب العقول والأفلاك:

«قلنا ما ذكرتموه تحكمات وهي - على التحقيق - ظلمات فوق ظلمات، لو حكاه الإنسان عن منام رآه لاستدل على سوء مزاجه، أو لو أورد جنسه في الفقهيات - التى قصارى المطلب فيها تخمينات - لقيل إنها ترهات لاتفيد غلبات الظنون»[٢] .

وقال في موضع آخر:

---

(١) تاريخ يونان، ج/٢، تأليف أدولف هولم ص/ ٣٧٢.

(٢) تهافت الفلاسفة، ص/ ١١٥.

www.abulhasanalinadwi.org

«لست أدرى كيف يقنع المجنون من نفسه بمثل هذه الأوضاع فضلاً عن العقلاء الذين يشقون الشعر بزعمهم في المعقولات»[٣] .

وقد تفطن لهذه النكتة شيخ الإسلام الحافظ ابن تيمية- (م٧٢٨هـ) فقال:

«وأما معرفة الله تعالى فحظهم (يعنى اليونانيين) منها مبخوس جداً، وأما ملائكته وكتبه، ورسله، فلا يعرفون ذلك البتة، ولم يتكلموا فيه لابنفى ولا بإثبات، وإنما تكلم في ذلك متأخروهم الداخلون في الملل»[٤] .

السر في اضطراب اليونان العقلى والعقدي:

وقد ذكر أحد العلماء المسيحيين الأدباء السر في هذا الاضطراب العقلى، وهذا التناقض في حياة اليونان، يقول جرجى زيدان:

---

(٣) أيضاً، ص ١٢٤.

(٤) تفسير سورة الإخلاص، ص ٥٧.

www.abulhasanalinadwi.org

«أخذ اليونان بأهداب الفلسفة والعلم على أثر الحروب اليونانية الداخلية فإنها توالت ٢٧ سنة، وفي نهايتها دخلت أثينا في حوزة المقدونيين، وأصبح الأثينيون بعد العز أذلاء فساقتهم العبرة والمذلة إلى النظر في الوجود، فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع أساسها سقراط، والحروب يغلب أن يعقبها نهضة أدبية أو علمية أو سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان.. وإن كانوا قد تنبهوا إلى شيء من ذلك قبلاً.

فلما أصيبت أثينا بالذل بعد تلك العظمة، أصاب أهلها اضطراب وانكسار، والإنسان إذا أصيب بنكبة لاحيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليلات الفلسفية عن الوجود وأصله، ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه، وخصوصاً في مثل ما أصيبت به أثينا بعد عزها ورفعة شأنها، وأصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون إلى الوراء آسفين، وينظرون إلى الأمام خائفين، وقد ذهبت أسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة، فتنبهت أذهانهم وانصرفت قرائحهم إلى النظر في شئون الإنسان على الجملة، وشئونهم على الخصوص، فكانت وجهة تلك النهضة الأدب والفلسفة، ودخل القرن الرابع قبل الميلاد، والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما

www.abulhasanalinadwi.org

يوافق أحوالهم، ونفوسهم تشتاق إلى الزيادة[١] .

علم الأصنام (الميثالوجية الهندية)وكثرة الآلهة والإلهات في الهند:

اما الهند التى فاقت في الفلسفة والعلوم الرياضية والطب، وكانت تلو اليونان كما قدمنا، فقد تفوقت في ميثالوجيتها الوثنية (علم الأساطير) وأمعنت فيها، حتى صارت فيها إماماً وقدوة لما حولها من البلاد، وامتازت بكثرة المعبودات والآلهة والإلهات، وقد أصبح كل شيء رائع، وكل شيء هائل، وكل شيىء نافع إلها يعبد، وارتقت صناعة نحت التماثيل، وتأنق فيها المتأنقون.

يقول الأستاذ الهندوكي L. S. S. O. Malley في كتابه «الهندوكية السائدة (دين الجماهير)».

«إن عملية خلق الآلهة، لم تنته على هذا، فلم تزل تنضم آلهة صغيرة في فترات تاريخية مختلفة إلى هذا «المجتمع الإلهي» في عدد كبير، حتى أصبح منهم حشد يفوق الحد والإحصاء، كان كثير منهم آلهة سكان الهند القدامى، ألحقوا بآلهة الديانة الهندوكية، ويذكر أن عدد هؤلاء الآلهة قد بلغ ٣٣٠ مليوناً»[٢] .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية، ج/٢، لجرجي زيدان، ص/ ٣٣٠.

(2) L.S.S.O., Malley, C.I.E.I., I.C.S., Popular Hndu Lsm, The igion of The Masses, (Cambridge, 1935) pp. 6-7.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول الأستاذ Vaidya C. V. في كتابه «تاريخ الهند الوسطى»:

«كانت الديانة الهندوكية والديانة البوذية وثنيتين سواء بسواء، بل ربما كانت الديانة البوذية قد فاقت الديانة الهندوكية في الإغراق في الوثنية، كان ابتداء هذه الديانة -البوذية - ينفى الإله، ولكنها بالتدريج جعلت بوذا الإلهة الأكبر، ثم أضافت إليه آلهة أخرى على مر الزمن[١] .

التطرف الإيرانى العقائدى:

أما الإيرانيون فقد دانوا بالوثنية في كل عصر، وأصبح ذلك شعاراً لهم، وآمنوا بإلهين اثنين، أحدهما النور أو إله الخير، ويسمونه «آهورمزدا» أو «يزدان» والثانى الظلام أو

---

1 C.V. Vaidya: History Of Mediaeval India, Vol. I Poona 1921.

www.abulhasanalinadwi.org

إله الشر، وهو «أهرمن» ولايزال الصراع بينهما قائماً والحرب دائمة[١] .

يذكر المؤرخون للديانة الإيرانية مجموعة أساطير متصلة بالآلهة Mythology لاتقل في غرابتها وتفاصيلها الدقيقة عن الميثولوجيا الاغريقى أو الهندى[٢] .

وقد عرف المجوس من قديم الزمان بعبادة العناصر الطبيعية وأعظمها النار، وقد عكفوا على عبادتها أخيراً، يبنون لها هياكل ومعابد وانتشرت بيوت النار هذه في طول البلاد وعرضها، وكانت لها آداب وشرائع دقيقة، وانقرضت كل عقيدة وديانة غير عبادة النار وتقديس الشمس، وأصبحت الديانة عندهم عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنة خاصة، أما خارج المعابد فكانوا أحراراً، يسيرون على هواهم، وما تملى عليهم نفوسهم، وأصبح المجوس لافرق بينهم وبين من لادين لهم ولا خلاق فى الأعمال والأخلاق[٣] .

---

(١) اقرأ كتاب «إيران في عهد الساسانيين» للبروفيسور آرتهركرستن سين (Christensen, A:) باب، الدين الزرتشي، ديانة الحكومة، ص/ ١٨٣ - ٢٣٣.

(٢) أيضاً، ص/ ٢٠٤ - ٢٠٩.

(٣) أيضاً، ص/ ٣٠.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول الأستاذ آرتهر كرستن سين وهو يحكى عن ديانة إيران:

«إن ديانة الآريين القديمة (ومنهم أهل إيران) كانت مؤسسة على عبادة العناصر والأجسام الفلكية والقوى الطبيعية، ولكن سرعان ما أضيفت آلهة جديدة إلى آلهة القوى الطبيعية، كانت تمثل القوى الخلقية، أو كانت تماثيل للتصورات الذهنية»[١].

ويذكر المؤرخون للديانة الإيرانية مجموعة أساطير متصلة بالآلهة (Mythology) لاتقل في غرابتها وتفاصيلها عن الميثالوجية الأغريقية أو الهندية.

وقد أحسن العلامة الدكتور محمد إقبال في وصف طبيعة الإيرانيين القلقة المضطربة التى تجلت في حياتهم، من مجال العقيدة والديانة، إلى الشعر والأدب، يقول:

«إن تخيل الإيرانيين كان كالفراشة دائمة الحركة والطيران، تنتقل - في حالة كشبيهة بسكر وطرب - من زهرة إلى زهرة

---

(١) «إيران في عهد الساسانيين» ص - ٣٠.

www.abulhasanalinadwi.org

أخرى، وتعجز عن تصور الحديقة تصوراً جامعاً شاملاً، لذلك ظهرت أفكارهم الممعنة في العمق وعواطفهم الجياشة، في أبيات لايربطها نظام، وتجلت في النسيب والغزل الذى ينم عن الرقة والدقة[1].

التفسخ الخلقى والانحلال الاجتماعى في مراكز العلوم والحكمة:

والمأخذ الثانى في حياة الشعوب والبلاد الثلاثة التى اتصفت بالعبقرية الفكرية والإبداع الفنى، بالنسبة إلى الأمم المعاصرة والبلاد المجاورة لها، والتى قادت العالم المفتوح علمياً وفكرياً، أو المأخوذ بسحرها (وهي اليونان والهند وإيران) هو التدهور الخلقى، والخضوع الزائد للغريزة الجنسية والدوافع الجامحة، فكانت على طرفى نقيض من السمو العقلى والتدنى الخلقى، لاتمنعها من ذلك التأملات الفلسفية ولا اللذة بالفتوح العلمية، ولا المثل والقيم الخلقية.

---

(1) The Development Of Metaphysics In Persia, PP. 13-14:

www.abulhasanalinadwi.org

## في اليونان:

أما اليونان فتكفى عنها شهادة مؤرخ أخلاق أوربا الشهير ليكي (Lecky, W. E. H.) يقول في كتابه الشهير «تاريخ أخلاق أوربا» (Histy of European Morals) :

«مما يقضى منه العجب (فيما يتصل بالحياة في اليونان القديمة) أن الخضوع للغريزة الجنسية، والانسياق مع الأهواء والشهوات، كان في أوجه، وقد بلغ القمة تحت سمع حكماء الأخلاق وبصرهم بل الأصح أنه قد بلغ القمة في ظل احتضانهم وإشرافهم، فإذا روى لنا أحد أن كبار أساقفة باريس المتدينين كانوا جالسين في غرفة المومسة الفرنسية الشهيرة «نيتادى انكلو» يشيرون عليها بما يساعدها على نجاح مهنتها وازدهارها، فلا يوجد من يصدق هذه الرواية ولكن الحقيقة التاريخية أن نفس هذه الصلة (الآثمة) كانت قائمة بين سقراط الكبير والمومسة اليونانية الشهيرة «تهيودونا»[1] .

---

(1) History of European Morals By Lecky, W. E. H. New York - 1855 p: 175 - 176.

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول في موضع آخر:

«إن تشكيك الفلاسفة قد استأصل الديانات القديمة، وقد اكتسح البلاد (اليونان) سيل من الترف الشرقى والتدهور الخلقى، وقد انتشرت في هذا الوضع وقائع البغاء والفجور انتشاراً كبيراً، وكثر عددها إلى حد هائل»[١].

ويروى التاريخ الموثوق به عن أرسطو وصلاته الأثيمة ببعض المومسات اليونانية، وكذلك عن أفلاطون وصلاته بالمومسات والغلمان، ويحكى روايات عن كبار فلاسفة اليونان مثل سقراط وأفلاطون، من الدعارة والشذوذ الجنسى، وحماية البغاء الرسمى وتبريره ما يندى له جبين الحياء ويحمر له وجه الأدب، ويصعب على الباحث في موضوع جدى مثل هذا الموضوع الذى له صلة بالديانة والأخلاق ودور الإسلام الاصلاحى التربوى، أن ينقل هذه الشهادات، ويكفيه أن يحيل القارئ على مصدرها الكبير[٢].

---

(١) أيضاً، ج / ٢ ، ص ١٩٢.

(2) Hans Licht, Sexual Life In Ancient Greece, London 1942.

www.abulhasanalinadwi.org

## في الهند:

أما الهند فقد اتفقت كلمة المؤرخين على أن المجتمع الهندى كان قد بلغ درجة الانهيار الخلقى في مستهل القرن السادس الميلادي[١] فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد، وأصبحت لاعيب فيها، لأن الدين قد أضفى عليها لوناً من القدس والتعبد[٢].

ويقول فاضل هندوكى «ويديا دهر مهاجن»:

«كان الجماهير في الهند (في القرن السادس المسيحى) يتهربون من الأعمال الشاقة والكدح، وكانوا يصرفون أوقاتهم في الاستهتار وخلع العذار، وقد راجت في تلك الفترة ديانة «واماركى» في العامة، التى كان مبدؤها: «كلوا واشربوا واقضوا حياتكم في صفاء وسرور» (Eat Drink And Be Mar-ry) فكانوا يعيشون على شرب الخمور والتمتع بالغيد والغوانى.

---

(١) راجع «الهند القديمة» ج / ٣، لمؤلفه. R.C. Dutt.

(٢) ستيارته- پركاش، لدياناند سرسوتي، ص/ ٣٤٤.

www.abulhasanalinadwi.org

وقد تسربت هذه القبائح إلى المدارس، وأصبحت المعابد والزوايا مسرحاً للكسل والترف، وكان أكثر كهنتها يعيشون حياة داعرة، وكان فيها عدد كبير من البنات والشابات اللاتى لم يتزوجن، انتشرت بسببهن الخلاعة وحياة الفجور، كذلك فإن وجود الراهبات في المعابد اللاتى نذرن حياتهن لهذه المعابد وكهانها، قد سبب فوضى خلقية هائلة، وفي ذلك العهد ظهر أدب خليع يسمى بـ "Tantrik" كان له أثر عميق فى الأخلاق[١].

## في إيران:

أما إيران فقد كانت مسرحاً بارزاً لتضعضع أسس الأخلاق والفضيلة وذوبانها، وقد شاع التمتع بالحياة وانتهاب المسرات إلى حد بعيد، وقد ظهر مزدك في أوائل القرن الخامس المسيحي، فدعا إلي إباحة الأموال والنساء، وجعل الناس شركاء فيها، وقد جاء في وثيقة إيرانية تاريخية تعرف «نامه تنسر» تصوير لذلك العصر.

«وانتهكت الأعراض، وعم خلع العذار، لقد نشأ جيل لاكرامة فيه ولا عمل، ولم يكن له رصيد ولاماض مجيد»[٢]

(١) راجع Muslim Rule in India, pp: 33 - 34

(٢) «نامه تنسر» طبع مينوي، ص/ ١٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وانغمست إيران في الفوضى الخلقية وطغيان الشهوات، وكانت تتأرجح بين أبيقورية[١] جامحة وتنسك مغال، ولم تزل المحرمات النسبية التي تواضعت على حرمتها ومقتها طبائع أهل الأقاليم المعتدلة موضع خلاف وتقاض فيها.

حيرة واضطراب وفلسفات سلبية متناقضة عند قادة الفكر والعلوم:

والمأخذ الثالث الذي يمثل موضع الضعف والانتقاد في هذه الشعوب والأقطار الثلاثة التي تزعمت العلم والفلسفة، والرياضيات والآداب وقادت العالم مدة طويلة، هو أن هذه الرحلة الطويلة المضنية في سبيل العلم والفن والاكتشاف، والاختراع والابتكار، التي تستحق من المنصفين وهواة العلم كل إعجاب وتقدير، كانت بلا غاية محددة، وعلى غير بصيرة وبنية، فكانت تؤدى أحياناً إلى حيرة واضطراب، وأحياناً أخرى إلى فلسفات سلبية، وقد انتهت باليونان تارة إلى الارتياب واللاأدرية (Agnosticiam) وتارة إلى أبيقورية (Epicureanism) ترى المتعة بالحياة واللذة «الخير الأسمى» ومقياس الأخذ والعطاء، والسلوك والأخلاق،وتارة إلى سوفسطائية (Sophism) تنكر إمكان الوصول إلى حقائق موضوعية ثابتة، إذ الحقيقة

---

(١) مذهب أبيقور، الفيلسوف الأغريقي، الذي قال بان المتعة هي الخير الأسمى.

www.abulhasanalinadwi.org

عندهم ذاتية نسبية تختلف باختلاف الأفراد، كان من نتائج هذه التعاليم هدم المعايير الثابتة في الأخلاق، والشك في البديهيات والمسلمات.

وقد أدت هذه الرحلة المعتمدة على التأملات والمغامرات وردود الفعل، وعلى الذكاء والتجرد وإجهاد الجسم - بالهند مرة إلى الديانة (الجينية» التى ظهرت في القرن السادس قبل المسيح، والتى تقوم على تعاليم خلقية سلبية غالباً، وعدم امتلاك شيء والكف عن الإيذاء حتى عن قتل الحشرات والهوام، ثم تدرجت إلى حياة العزوبة والتجرد، والرهبانية المجهدة، في عهد أحد قادتها «مهاوير».

وفي نفس هذه العهد (٦٠٠ق.م) ظهر بوذا، وكانت تعاليمه رد فعل عنيف ضد النظام البرهمى والنظام الشقى السائدين على الهند، وعلى الرهبنة، والإغراق في التماس والمراقبة، وكان ابتداء هذه الديانة - البوذية - ينفى الإله، ولكنها بالتدريج جعلت بوذا الإله الأكبر، ثم أضافت إليه آلهة أخرى على مر الزمن[١].

---

(١) راجع للتفصيل «تاريخ الهند الوسطى» للأستاذ سي، وي، ويديا

C. V. Vaidya History of Mediaeval Inbia, Bol, I, Poona - 1921, :. 101.

www.abulhasanalinadwi.org

وأدت إيران إلى الزردشتيه التي خلقت المزدائية، وكانت مؤسسة على الحرب القائمة بين النور والظلام أو بين إلهالخير وإله الشر، ثم جاء «ماني» يدعو إلى حياة الهدوية، لحسم مادة الفساد والشر من العالم، وانتصار النور على الظلمة بقطع النسل، وذلك في أوائل القرن الثالث المسيحي، وظهر مزدك في أوائل القرن الخامس المسيحي، فدعا إلى إباحة الأموال والنساء، وجعل الناس شركاء فيها، فكانت النتيجة أن انتشرت ثورات الفلاحين وكثر النهابون، وأصبحت الأراضى والمزارع مقفرة خربة[1]، وظلت إيران القديمة في أكثر عهودها تحت تأثير الدعوات المتطرفة المغالية، وردود فعل عنيفة، بين احتكار سلالي أو طبقي أو ديني، وشيوعية متطرفة، وفوضوية مطلقة، وكل ذلك نتيجة رحلة على غير هدى، ومن غير خرّيت حاذق، وقائد بصير مؤيد من الله.

## وحدات علمية متناثرة بعيدة عن واقع الحياة:

وكانت النتيجة الثانية أن أصبحت العلوم والفنون والآداب، والمدارس المختصة بالفلسفة والمنطق، والرياضيات،

---

(١) إيران في عهد الساسانيين.

www.abulhasanalinadwi.org

والهندسة، والجغرافية والتاريخ، والأدب والشعر والملاحم، وحدات متناثرة، متناقضه أحياناً، مختلفة في الهدف، متفاوته في التأثير، وتكوين السيرة والأخلاق، والنظر إلى الكون والإنسان، لارباط بينها ولاتفاهم، فضلاً عن التعاون على إسعاد البشرية وتكوين المجتمع الصالح، والمدنية الفاضلة، وربط الخلق بالخالق، والكون بالفاطر، يعيش أئمتها وأساتذتها في عالمهم المحدود، قد يكون خيالياً، وقد يقع في برج عاجي بعيد عن الحياة العملية، والمجتمع المائج والهائج، والحياة المضطربة المتطورة، وحكومات عادلة حيناً، جائرة أحياناً كثيرة، لاشأن لهم في أكثر الأحوال بمصير الإنسانية وأوضاع المدنية.

٣- البعد عن النبوات وتعاليمها هو السبب الرئيسي لشقاء هذه الشعوب والبلاد:

والسر في تخبط هذه الشعوب والبلاد العملاقة العبقرية في الفنون والآداب والفلسفة والرياضيات تخبطاً شبيهاً بخبط عشواء أو رمي السهام في الظلماء، وفي السرّ في وجود التفاوت الفاحش، والفجوة العميقة السحيقة بين العلم والعمل، والنظر والسلوك، وبين الذكاء والخلق والاستقامة، وفي انتشار الفوضى المنهجية والعقائدية، والتوزع بين المذاهب والآراء، وفي وجود وحدات علمية متناقضة حيناً، متناثرة أحياناً،

www.abulhasanalinadwi.org

مجردة من وحدة تربطها، وتخضعها لقوة قاهرة، أو إرادة قاسرة، أو غاية مشتركة فاضلة، هو انقطاع آخر خيط كان يربط هذه الشعوب والبلاد بالنبوّات[١] إذ كانت هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة، التى لايشوبها جهل ولا ضلال، ولاسوء فهم ولاسوء تعبير، ولاسبيل إلى معرفة الله تعالى الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم، لايستقل

---

(١) يقول القرآن: (فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم، وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) «المؤمن-٨٣».

* يقول العلامة شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي في تفسيره «روح المعاني» يحكى قولاً ثانياً للمفسرين في تفسير (بما عندهم من العلم):

«أن المراد به علم الفلاسفة والدهريين من بني يونان على اختلاف أنواعه، فكانوا إذا سمعوا بوحى الله تعالى دفعوه وصغروا علم الأنبياء عليهم السلام إلى ما عندهم من ذلك، وعن سقراط أنه سمع بموسى عليه الصلاة والسلام، وقيل له: لو هاجرت إليه، فقال: «نحن قوم مهذبون فلا حاجة لنا إلى من يهذبنا» (روح المعاني، ج/٢٤، ص/٩١)، وكذلك كان الشأن مع الهند وإيران».

ولقد أحسن الفيلسوف الأنجليزي المشهور Roger Bacon في تعليل هذه النفسية المعوقة عن قبول الحق والإذعان له، إذ قال: «إن من الأسباب الرئيسية العائقة عن التمسك بالحق، هو إخفاء جهلنا الشخصي، الذي يرافقه التظاهر بالعلم البراق الخادع» .(Roger Bacon - Opus Majustrans. R. S. Burke - 1928)

www.abulhasanalinadwi.org

بها العقل، ولايغنى فيها الذكاء، ولاتكفي سلامة الفطرة وحدة الذهن، والإغراق في القياس، والغنى في التجارب.

## فضل النبوة والأنبياء والحاجة إليهم:

وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة - وهم أهل الصدق وأهل التجربة - وقد أعلنوا ذلك في مقام صدق وجد كذلك:

﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ ﴾[1] وقرنوا هذا الاعتراف والتقرير بقولهم: ﴿ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ ﴾[1] فدل على أن الرسل وبعثتهم هي التي تمكنوا بها من معرفة الله تعالى وعلم مرضاته وأحكامه، والعمل بها، الذي تمكنوا به من الدخول في الجنة والوصول إلى دار النعيم، وقد ختم الله تعالى سورة جليلة من سور القرآن (وهي سورة الصافات) بهذه الحقيقة، فقد نفى فيها ضلال المشركين وسوء اعتقادهم، ونسبتهم إلى الله ما هو منه برىء، ثم قال في آخر السورة: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ،

---

(١) الأعراف - ٤٣.

www.abulhasanalinadwi.org

وسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ، وَالْحَمْدُ للَّه رَبِّ االعَالَمِينَ ﴾[١] .

والآيات الثلاث حلقات متصلة بعضها ببعض، فلما نزه الله نفسه العلية عما يتفوه به المشركون، ذكر المرسلين الذين جاءوا بالتنزيه والتقديس الكاملين، والوصف الصحيح البليغ، وسلم وأثنى عليهم، لأنهم هم أهل الفضل في تعريف الخلق بالخالق، وفي الوصف الصحيح الصادق، وكانت بعثتهم منة على الخلق، ونعمة على الإنسانية، ومن مقتضيات الربوبية الرحيمة الحكيمة، فختم كل ذلك بقوله: ﴿والحَمْدُ للَّهِ رَبِّ العَالَمينَ﴾[٢] .

## أساس للعقائد والأعمال والأخلاق والمدنية:

وكان هذا العلم الذي جاء به الأنبياء أجل علم تتوقف عليه سعادة البشر، إذ هو الأساس للعقائد والأعمال، والأخلاق والمدنية، وهو الذي يعرف به الإنسان نفسه، ويفك به لغز الكون ويكشف عن سر الحياة، وبه يعين الإنسان مركزه في هذا العالم، وينظم علاقاته واتصالاته من بين بني جنسه ويضع منهاج حياته، ويحدد غاياته في ثقة وبصيرة، ووضوح ويقين.

---

(١) سورة الصافات - ١٨٠: ١٨٢.

(٢) مقتبس من كتاب صاحب المقال «النبوة والأنبياء في ضوء القرآن» ص/ ٢٦-٢٧، (دار القلم، الطبعة الرابعة).

www.abulhasanalinadwi.org

ثم إن النبوات - وعلى رأسها وفي خاتمتها النبوة المحمدية - تربط العلم دائماً بالعمل، والقول بالتطبيق، والإيمان والإقتناع بالحقائق، بالسلوك الفردي والجماعي، فيقول القرآن: ﴿يا أيُّها الّذينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللّه أنْ تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾[1] ويقول ذاماً للشعراء والحكماء ناعياً عليهم: ﴿وَأنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لا يَفْعَلُونَ﴾ ويقول في وصف العلماء الراسخين: ﴿إنّما يَخْشَى اللّهَ مِنْ عِبَادِه العُلَمَاءُ﴾[2].

وقد ضرب الله مثلاً للذين يعلمون ولايعملون بما يعلمون، بالحمار الذي يحمل وقراً من الكتب والأسفار على ظهره ولاينتفع به، فقال: ﴿مَثَلُ الّذينَ حُمِّلُوا التَوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسْفَاراً بِئسَ مَثَلُ القَوْمِ الّذينَ كَذّبُوا بِآيَاتِ اللّه، واللّهُ لا يَهْدِي القَوْمَ الظّالِمينَ﴾[3] وتلك غاية في الذم والاحتقار، والتنكيت والتقريع.

---

(١) سورة الصف ٢: ٣.

(٢) سورة فاطر: ٢٨.

(٣) سورة الجمعة: ٥، قال العلامة شهاب الدين محمود الألوسي في تفسيره «روح المعاني» في تفسير كلمة «أسفار»: كتباً كباراً على ما يشعر به التنكير، وإيثار لفظ السفر وما فيه من معنى الكشف من العلم يتعب بحملها ولاينتفع بها.. وفي الآية دليل على سوء حال العالم الذي لايعمل بعلمه، وتخصيص الحمار بالتشبيه به لأنه كالعلم في الجهل» (روح المعاني، ج/٢٨، ص/ ٩٥).

www.abulhasanalinadwi.org

## النبوة وتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس

ومهمة تهذيب الأخلاق وتزكية النفوس. تشغل مكاناً كبيراً في دائرة الدعوات النبوية، ومقاصد البعثة، والقرآن قد أطلق لفظ الحكمة على الأخلاق والآداب بعد ما ذكر رؤوسها وأصولها في سورة الإسراء، فقال: ﴿ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾[١] وقال قبل أن يذكر تعاليم لقمان الخلقية: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ، وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٢] وقال بعد ما ذكر الانفاق في سبيل الله من غير من ولا أذى، والتوكل على الله في عدم الخوف من الفقر: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَن يَشَاءُ، وَمَن يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾[٣]

وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذا الغرض العظيم الذي جاءت من أجله البعثة النبوية بكلمة الحصر، فقال: (إنما

---

(١) الإسراء: ٣٩.

(٢) لقمان: ١٢.

(٣) البقرة: ٢٦٩.

www.abulhasanalinadwi.org

بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[١] وقد كان خير مثال له وأفضل أسوة فيه، فقد قال القرآن: ﴿وإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢].

## لمحة عن الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة المحمدية:

وقد نشأ في أحضان آخر الرسل صلى الله عليه وسلم جيل تحلى بأفضل الأخلاق وأكرم الصفات، وتجرد عن رذائل الأخلاق ومهلكات العادات وذمائم الصفات، وغوائل النفوس، وبقايا الجاهلية، ومغالطات الشيطان، وقد شهد القرآن باستقامة قلوبهم وصلاح نفوسهم، ووصولهم إلى ذروة تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس، فقال:

﴿واعْلَمُوا أَنَّ فِيكُم رَسُولَ اللَّه لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، فَضلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[٣].

---

(١) رواه مالك في الموطأ.

(٢) سورة القلم: ٤.

(٣) سورة الحجرات: ٧، ٨.

www.abulhasanalinadwi.org

ويحلو لي أن أنقل هنا ما سبق أن قلته في الحديث عن «مأثرة النبوة المحمدية» في كتابي النبوة والأنبياء في ضوء القرآن:

«إن كل فرد من هؤلاء الأفراد، معجزة مستقلة وآية من آيات النبوة، ومأثرة من مآثرها الخالدة، وبرهان ساطع على أشرفية النوع الإنساني، إن مصوراً لم يصور بريشته البارعة ومخيلته السخية، صورة أجمل وأبدع مما كان عليه هؤلاء الأفراد في عالم الحقيقة والواقع، وفي شهادة التاريخ، وإن شاعراً لم يتخيل بخياله الخصيب وقريحته الفياضة ومقدرته الشعرية، أوصافاً أجمل وسيرة أعطر، وجمالاً أكمل مما وجد في هؤلاء الأفراد، ولو اجتمع أدباء العالم في صعيد واحد فعرضوا نموذجاً إنسانياً رفيعاً لم يصل بهم الخيال إلى ما وصل إليه الواقع في حياة هؤلاء الأفراد، الذين نشأوا في حجرة النبوة وحضانتها، وتخرجوا في مدرستها، إن إيمانهم الراسخ، وعلمهم العميق، وقلبهم البار، وحياتهم البعيدة عن كل تكلف وصناعة، وعن كل رياء ونفاق، وتجردهم من الأنانية، وخشيتهم لله، وعفتهم ونزاهتهم وعطفهم على الإنسان، ورقة مشاعرهم، وشجاعتهم وجلدهم وصبرهم، وحرصهم على العبادة، وحنينهم إلى الشهادة، وفروسيتهم وفتوتهم، وإحياءهم الليل، وزهدهم

www.abulhasanalinadwi.org

في حطام الدنيا وزخارف الحياة، وعدلهم وسهرهم على مصالح الرعية وإيثار راحتها على راحتهم، كل ذلك لايوجد له نظير في الأمم ولاسوالف في التاريخ»[١].

«أبرز رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالته ودعوته الفرد الصالح المؤمن بالله، الخائف من عقاب الله، الخاشع الأمين، المؤثر للآخرة على الدنيا، المستهين بالمادة، المتغلب عليها بإيمانه وقوته الروحية، يؤمن بأن الدنيا خلقت له وأنه خلق للآخرة، فإذا كان هذا الفرد تاجراً فهو التاجر الصدوق الأمين، وإذا كان فقيراً فهو الرجل الشريف الكادح، وإذا كان عاملاً فهو العامل المجتهد الناصح، وإذا كان غنياً فهو الغني السخيّ المواسي، وإذا كان قاضياً فهو القاضي العادل الفهم، وإذا كان ولياً فهو الوالي المخلص الأمين، وإذا كان سيداً رئيساً فهو الرئيس المتواضع الرحيم وإذا كان خادماً أو أجيراً، فهو الرجل القوي الأمين، وإذا كان أميناً للأموال العامة فهو الخازن الحفيظ العليم».

وعلى هذه اللبنات قام المجتمع الإسلامي وتأسست الحكومة الإسلامية في دورها»[٢].

---

(١) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن، ص/ ١٥٣ - ١٥٥.

(٢) أيضاً ص/ ١٥٣ - ١٥٥.

www.abulhasanalinadwi.org

يقول العالم الألماني كاتاني (Caetani) في كتابه «حوليّات الإسلام»:

«لقد كان هؤلاء الصحابة الكرام ممثلين صادقين لتراث رسول الله الخلقي، ودعاة الإسلام في المستقبل وحملة تعاليم محمد صلى الله عليه وسلم، التي بلغها إلى أهل التقوى والورع، لقد رفع بهم اتصالهم المستمر برسول الله وحبهم الخالص له، إلى عالم من الفكر والعواطف لم يشهد محيط أسمى منه وأرقى مدنية واجتماعاً. والواقع أن هؤلاء الصحابة حدثت فيهم تحولات ذات قيمة كبيرة من كل زاوية، وأثبتوا فيما بعد في أصعب مناسبات الحروب أن مبادئ محمد صلى الله عليه وسلم أنما بذرت في أخصب أرض أنبتت نباتاً حسناً، وذلك عن طريق أناس ذوي كفايات عالية جداً، كانوا حفظة الصحيفة المقدسة وأمناءها، كانوا محافظين على كل ماتلقوه من رسول الله من كلام أو أمر، لقد كان هؤلاء قادة الإسلام السابقين الكرام الذين أنجبوا فقهاء المجتمع الإسلامي وعلماءه ومحدثيه الأولين»[1].

---

(1) Caetani (Annali Dell Islam) Vci. IIp, 429. T. W. Arnold: Preaching in Is-lam, London - 1935.

www.abulhasanalinadwi.org

## الطريق الوحيد إلى الوحدة والتوحيد:

والأثر العقلي الذى يترتب على أثر عقيدة التوحيد على الإنسان، هو أن العالم كله تابع لمركز ونظام واحد، ويرى الإنسان في أجزائه المنتشرة ترابطاً ظاهراً ووحدة في القانون، يستطيع الإنسان بفضله أن يأتى بتفسير كامل للحياة وأن يقوم فكره وعمله في هذا الكون على حكمة وبصيرة، وعلى تعاون على البر والتقوى، وإسعاد الإنسانية وتنظيم المجتمع وتوجيه المدنية، والجمع بين الدين والدنيا، وتوحيد الصفوف المتنافرة والمعسكرات المتحاربة.

لقد كانت وحدات العلم مبعثرة - كما سبق في الحديث عن اليونان - بل كانت في أغلب الأحيان متناقضة، فعلم الطبيعة يخالف الدين، وعلم الحكمة يحارب الدين، حتى علوم الرياضة والطب البريئة كان يخرج منها أصحاب الاختصاص فيها أحيانا بنتائج سلبية إلحادية، فكان في اليونان كما قدمنا علماء إما مشركون وإما ملحدون، وقد ظلت علومها ومدارسها الفكرية في الشرق قروناً عديدة خطراً على الدين ومدخلاً للتشكيك والنفاق، واهتزاز العقائد، في العاكفين عليها دراسة وتدريساً، والمؤمنين بها المجلين لها، ولها حكايات طويلة ليس هذا محلها.

www.abulhasanalinadwi.org

## العثور على الوحدة في الظواهر الكونية:

وكان من أكبر معطيات النبوات في الزمن السابق، وأكبر حسنات الإسلام في الأخير، أنه دل على الوحدة التى تربط بين وحدات العلم، فقد تيسر له ذلك، لأنه بدأ رحلته في مجال العلم والمعرفة بداية صحيحة، بدأها بالإيمان بالله والاستعانة به والاعتماد عليه، عملاً بقوله تعالى لرسوله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ وصحة البداية - في غالب الأحيان - كافلة بصحة النهاية، فاستطاع بفضل القرآن والإيمان أن يكتشف الوحدة التي تربط الوحدات بعضها ببعض، وهي معرفة الله تبارك وتعالى، وذلك الذي مدح الله به عباده المؤمنين فقال: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ، رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً، سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾[1].

وكذلك كانت تبدو الوحدات الكونية - من الظواهر والحوادث والتغيرات - متناقضة مضادة، توقع الإنسان في حيرة واضطراب، وقد تؤدى إلى الكفر والإلحاد - كما كان الشأن في اليونان، وكما كان في أوساط الفلسفة اليونانية

---

(١) سورة آل عمران: ١٩١.

www.abulhasanalinadwi.org

ومدارسها في الشرق الإسلامي، وكما هو في الغرب اليوم - كما تؤدى إلى الطعن والاعتراض على الخالق ومدبر الكون، فدل العلم الإنساني المؤسس على الإيمان والقرآن، على الوحدة التى تجمع بين هذه الوحدات الكونية، وهي إرادة الله الغلابة وحكمته الباهرة.

## أثر عقيدة التوحيد في الحياة وفهم الكون:

وقد أشار عالم غربى كبير هو «هيرالد هوفدنج» الألماني (Harold Hoffding) إلى أهمية العثور على هذه الوحدة ودورها الفعال في حياة الإنسان ومسيرة العلم والأخلاق.

يقول:

«إن فكرة كل دين قائمة على التوحيد، وهي تقوم على أن علة الوجود لجميع ما في الكون واحدة - وبغض النظر عن المشاكل التي تحدث بهذه الفكرة بصورة لازمة - يخلف ذلك الاعتقاد أثراً نافعاً ومهماً على الطبيعة الإنسانية، وهو أن أتباع هذا الدين يسهل عليهم الاعتقاد بأن جميع الأشياء في العالم مرتبطة حسب قانون واحد بغض النظر عن الخلافات والتفاصيل، فيلزم لكون العلة واحدة أن يكون القانون واحداً، وقد غرست فلسفة الأزمنة المتوسطة الدينية فكرة وجود هذه

www.abulhasanalinadwi.org

الوحدة في كثرة المشاهدة في العالم في أذهان الناس، إنها الفكرة التي كان الإنسان غير المثقف بمعزل عنها بتأثير وجود الكثرة في المظاهر الطبيعية التي كان يتيه ويغوص فيها، فيفلت من يده حبل الوحدة التي يربط هذه الكثرة»[1] .

## الدعوة إلى التفكر في الأنفس والآفاق وماضي الأمم والمجتمعات، وفائدته:

وقد نوع القرآن وسائل العلم ومصادر الدراسة والتأمل ودعا إلى التفكر في الأنفس والآفاق، وفي ماضي الأمم والمجتمعات (الذي يسميه القرآن بأيام الله وسننه في خلقه، ويسميه العلم الحديث بالتاريخ) والتوصل بكل ذلك إلى نتائج ذات قيمة عميقة الأثر، بعيدة المدى في المصير الإنساني.

يقول العلامة الدكتور محمد إقبال، وهو يذكر دور الإسلام في توجيه العقل البشري ووسائل العلم ومصادره إلى ميدان

(1) History of Modern Philosophy, p, 5

www.abulhasanalinadwi.org

أوسع وأكثر إنتاجاً، يقول في محاضراته المشهورة: «تجديد الفكر الديني في الإسلام (Reconstruction of Religious-thought in Islam) :

لقد عد القرآن الكريم مصدرين آخرين للعلم، أحدهما عالم الطبيعة، وآخرهما عالم التاريخ، وبالاستفادة منهما ظهرت الروح الطيبة للعالم الإسلامي، إن الشمس والقمر، وامتداد الظل، واختلاف الليل والنهار، واختلاف الألسنة والألوان، وتداول الأيام بين الناس، واختلاف السعادة والشقاء، وبالجملة عالم الطبيعة كله، الذي نعيش فيه ونلمسه بالحواس، كلها في نظر القرآن آيات للحقيقة المطلقة، ولذلك من واجب كل مسلم أن يتفكر ويتدبر في آيات الله وليس أن يصد عنها صماً وبكماً، لأن كل من يغض بصره عن هذه الآيات في الحياة يحشر أعمى.

فلما أدرك المسلمون تدريجياً هذه الحقيقة، وهي أن الكون متحرك وسائر ومتناه، وقابل للتجديد والإضافة، انصرفوا في النهاية إلى رفض الفلسفة اليونانية التي كانوا قد درسوها بشغف في مستهل حياتهم الذهنية، وقد فاتهم أول الأمر أن روح القرآن الكريم تتنافى مع الفلسفة اليونانية، فدرسوا القرآن

www.abulhasanalinadwi.org

الكريم في ضوء الاعتقاد بالفلسفة اليونانية، وبما أن القرآن الكريم يؤكد على حقائق ثابتة وأصيلة، وتقوم الحكمة اليونانية على مجرد النظريات لا الحقائق كان لابد من أن تخفق هذه الجهود يوماً من الأيام، وهذا ما حدث، وإلى مثل تلك الجهود يرجع ظهور روح الحقيقة للحضارة الإسلامية، والثقافة الإسلامية، وإذا ألقينا نظرة عميقة على أهم جوانب الحضارة الحديثة، وجدنا أنها هي الأخرى تدين إلى حد كبير لتلك الروح التى كانت مصدر الحضارة الإسلامية»[1].

ويقول في موضع آخر:

«عبر القرآن الكريم عن التاريخ بأيام الله، وجعله مصدراً من مصادر العلم، ومن تعاليمه الأخرى أن الأمم والأقوام تحاسب بطريقين، انفرادياً واجتماعياً، وأنها تعاقب على سوء أعمالها في هذه الدنيا أيضاً، واستشهد القرآن على ذلك بحوادث كثيرة من التاريخ، كما أن القرآن حث قراءه على أن يفكروا في أحوال الإنسان الحالية والماضية.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظلماتِ

(1) Reconstruction of Religius thought in Islam p, 179.

www.abulhasanalinadwi.org

إِلَى النُّورِ، وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ (١) .

﴿وممَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بالحقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ، والَّذينَ كَذَّبُوا بآياتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُمْ منَ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ، وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ (٢) .

﴿قَدْ خَلَتْ من قَبْلِكُم سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الـمُكَذِّبِينَ﴾ (٣) .

﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ، وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ (٤) .

﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ﴾ (٥) .

إن الآية الأخيرة تحمل طابع التعميم التاريخي كأنها توضح بطريق حكيم للغاية أن نفكر في الأمم الإنسانية كالأجسام النامية بمنهج علمي» (٦) .

---

(١) سورة إبراهيم الآية ٥.

(٢) سورة الأعراف ١٨١ - ١٨٣.

(٣) آل عمران: ١٣٧.

(٤) آل عمران: ١٤٠.

(٥) سورة يونس: ٤٩.

(٦) ص ٢١٢ - ٢١٣، والقطع من كتاب إقبال، نقلها إلى العربية الأستاذ واضح رشيد الندوي.

www.abulhasanalinadwi.org

الحركة العلمية العالمية الفريدة التي أنشأتها تعاليم الإسلام:

ومن هذا التنويه بشأن العلم والحث عليه، انبثق ذلك النشاط، وبكلمة أصح، الحماس العلمي والتفاني في سبيل العلم في تاريخ الإسلام، وانطلقت هذه الحركة العلمية العالمية الخالدة التي تعدّ مساحتها الزمنية من أكبر المساحات الزمنية ومساحتها المكانية من أكبر المساحات المكانية، وتعدّ المساحة المعنوية أوسع من كلتا المساحتين.

وتكفي هنا شهادة لباحث غربي كبير ومؤرخ فرنسي شهير وهو الدكتور «غوستاف لوبون» الذي يقول في كتابه المشهور «حضارة العرب»:

«والإنسان يقضي العجب من الهمة التي أقدم بها العرب على البحث، وإذا كانت هنالك أمم تساوت هي والعرب في ذلك، فإنك لاتجد أمة فاقت العرب على ما يحتمل، والعرب كانوا إذا ما استولوا على مدينة صرفوا همهم إلى إنشاء مسجد وإقامة مدرسة فيها، وإذا ما كانت تلك المدينة كبيرة، أسسوا فيها مدارس كثيرة، ومنها المدارس العشرون التي روى «بنيامين التطيلي» المتوفى سنة ١١٧٣م أنه شاهدها في الإسكندرية، وهذا عدا اشتمال المدن الكبرى كبغداد والقاهرة وطليطلة وقرطبة على جامعات مشتملة على مختبرات ومراصد

www.abulhasanalinadwi.org

ومكتبات غنية، وكل ما يساعد على البحث العلمي، وكان للعرب في أسبانية وحدها سبعون مكتبة عامة، وكان في مكتبة الخليفة الحكم الثاني بقرطبة ستمائة ألف كتاب، ومنها أربعة وأربعون مجلداً من الفهارس، كما روى مؤرخوا العرب، وقد قيل بسبب ذلك أن «شارل الحكيم» لم يستطع بعد أربعمائة سنة أن يجمع في مكتبة فرنسا الملكية أكثر من تسعمائة (٩٠٠) مجلد يكاد ثلثها يكون خاصاً بعلم اللاهوت[١].

## أكبر انحراف وقع في خط التقدم العلمي في أوربا:

إن أكبر انحراف وقع في خط التقدم العلمي الذي سار عليه الغرب منذ استيقظ من سباته العميق، وتحرر من هيمنة الكنيسة ومحاكم التفتيش في أوربا في القرون الوسطى، واستأنف رحلته في دنيا العلم والاكتشاف، وفي طريق تسخير الطاقات الطبيعية والكون لمآربه الفردية والجماعية أن الغرب واصل هذا العمل الذي أحدث انقلاباً هائلاً في الحضارة،

---

(١) «حضارة العرب» ص / ٤٣٤، تأليف الدكتور غوستاف لوبون، ترجمة الأستاذ عادل زعيتر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، بمصر.

www.abulhasanalinadwi.org

ككائن مستقل حر يحق له أن يحكم هذا الكون ويسخره لأغراضه الشخصية أو الوطنية، أو القومية، ويتصرف فيه كما يشاء وهو غير مسئول أمام ربه، يعمل ما يشاء بالأصالة، لابالخلافة والرسالة، وهذا هو الخط الذي جر على العلم وعلى الأمم التي لم تبلغ هذا الشأو البعيد من العلم والمدنية، أو وقعت تحت رحمته وحكمه، شقاءً طويلاً، وعذاباً أليماً.

## تعليم الأسماء لآدم كخليفة ومعناه العميق البعيد:

وبالعكس، يصف القرآن الإنسان بأنه خليفة الله في أرضه ينفذ أوامره، ويسير في ضوء تعاليمه ورسالته، وهو مستخلف مفوض، متقيد بأحكام ربه، مسئول أمامه، مجزى على عمله، محاسب على سوء تصرفه وأنانيته، معاقب على تفريطه وإفراطه، وعلى انخداعه بالقوة المحدودة، والحكم الزائل، والحياة العابرة، والدنيا الفانية، ومعاقب على استعباده لبني جنسه، واستبداده فيهم، فقد ذكر القرآن الحوار العميق المعنى، بعيد المدى الذى جرى بينه تبارك وتعالى وبين الملائكة عند خلق آدم: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] وقد جاء فيه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾[2] فدل

(١) سورة البقرة: ٣٠.

(٢) سورة البقرة: ٣١.

www.abulhasanalinadwi.org

ذلك على أن كل ما اتصف به النسل الإنساني من صلاحيته للعلم الذي يحتاج إليه في هذا الكون ويستخدمه لصالحه، وكل ما يربطه من صلة بهذا العالم المادي، وكل ما وهب من طاقة وإمكانية للانتفاع بهذا الكون والطبيعة والحياة، إنما مصدره هو «الخلافة الإلهية» وإن كل ذلك بالنيابة لا بالأصالة وكل ذلك خاضع لمنصب الاستخلاف الذي خص به دون الملائكة، وفي القرآن إشارات غير ذلك تؤكد هذه المعاني.. منها قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ (١) وقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾ (٢).

ويدل القرآن على أن خلافة الله تعالى مسئولية عظيمة تطلب العدل والرحمة، والدقة والمحاسبة الدقيقة، يقول الله تعالى مخاطباً نبيه داود عليه السلام، وكان يحكم مملكة واسعة: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ، إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ (٣)

---

(١) سورة الحديد: ٧.

(٢) سورة يونس: ١٤.

(٣) سورة ص: ٢٦.

www.abulhasanalinadwi.org

## أعظم جهالة ظهرت على مسرح التاريخ:

وشتان بين الخلافة والأصالة، فالخليفة دائماً مرتبط بمن استخلفه، خاضع خاشع أمامه، أمين في خلقه، رفيق بمن نصب له، شاكر لفضل مستخلفه، راد لكل فضل ونعمة إليه، لايأخذه الصلف والغرور، ولاتستخفه القوة والسلطان وقد تناسى الغرب هذه الحقيقة فكانت أكبر عثرة في تاريخ العلم والاكتشاف وفي تاريخ البشرية. ولم يكن ذلك ذهول فرد أو أفراد معدودين، أو مدرسة فكرية أو فلسفة، بل كان ذهول العلم والقيادات العالمية، التى أصبحت تتحكم في مصاير الأمم واتجاهات العالم فكان أشقى ذهول، وأعظم غفلة أو جهالة، ظهرت على مسرح التاريخ، وكانت غلطة أنتجت عصراً وأجيالاً من الغلطات، وقد قال بعض الحكماء: (ما رأيت ولوداً مثل الغلطة الواحدة) ولايزال العالم يرزح تحت هذا الانحراف عن الخط المستقيم الذي رسمه الله وبينه القرآن عن موقف الإنسان العاقل العليم الذي استخلفه الله على هذا الكوكب، وخوله العلم والطاقة، وسلحه بما يحتاج إليه في القيام بعبء هذه المسئولية العظيمة الدقيقة.

www.abulhasanalinadwi.org

## خصائص الحركة العلمية الإسلامية:

ومن خصائص الحركة العلمية التي انبثقت عن تعاليم الإسلام وقامت على أكتاف علماء المسلمين خمس خصائص نشير إليها على سبيل الاختيار والاختصار:

### العالمية والإنسانية:

١- عالمية هذه الحركة وإنسانيتها، فالعلم في الإسلام حق مشاع، وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب، والعناصر والأجناس، والأسر والبيوتات، والبلاد والأوطان، ليس فيه احتكار مثل احتكار (بني لاوي) من اليهود أو (البراهمة) من الهنود ولايتميز فيه شعب عن شعب، ولانسل عن نسل، وليس الاعتماد فيه على العرق والدم، بل الاعتماد فيه على الحرص والشوق، وحسن التلقي، وزيادة التقدير، والتفوق في الجهاد والاجتهاد، وقد روى الإمام أحمد بن حنبل بسنده عن النبي صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لو كان العلم بالثريا لتناوله أناس من أبناء فارس».

وكفى شهادة تاريخيه لذلك، ما قاله نابغة العرب عبد الرحمن بن خلدون (٨٠٨هـ) في مقدمته المشهورة:

www.abulhasanalinadwi.org

«من الغريب الواقع أن حملة العلم في الملة الإسلامية أكثرهم العجم، سواء في العلوم الشرعية أو العلوم العقلية، إلا في القليل النادر، مع أن الملة عربية، وصاحب شريعتها عربي»[١].

## الشعبيـــة:

٢- شعبية هذه الحركة، فقد قامت على مجهودات شعبية وعلى تقدير المسلمين للعلم والشعور بالحاجة إليه، وما ورد في الكتاب والسنة من فضله، وما وعد من الأجر والثواب عليه، والذم للجهل، والنعي عليه وتنافس فيه المتنافسون من المسلمين في كل عصر وجيل، وقام أكثر المدارس، وحلقات التعليم في العالم الإسلامي الواسع على تقدير المسلمين وتمويلهم، عدا مدارس معدودة (كالنظامية في بغداد، ونيسابور) وما احتضنته الحكومات الإسلامية في عواصمها ومدنها الرئيسية من مدارس وجامعات.

---

(١) مقدمة ابن خلدون، المطبعة البهية، ص/ ٤٠١، وراجع للتفصيل والأمثلة الكثيرة على هذه الدعوى كتابنا: «الإسلام وأثره في الحضارة، وفضله على الإنسانية».

www.abulhasanalinadwi.org

وقد انتشر العلم انتشاراً واسعاً بفضل العلماء المتطوعين والأساتذة الزاهدين المتقشفين، الذين زهدوا في مناصب الحكومة ووظائفها، وتقدير الأغنياء والأمراء وقنعوا بالكفاف وما يقيم الصلب ويسد الرمق، وقد روى التاريخ الأمين حكايات من هذا القبيل، ليس من السهل تصديقها لولا الرواة الثقات والاستفاضة والتواتر، والعلم بقوة الإيمان والاحتساب، وروح التطوع والإيثار، المتغلغلة في أحشاء العلماء الراسخين[١].

ويكفي لذلك مثالاً ما وقع بين إمام الهجرة مالك بن أنس والخليفة العباسي هارون الرشيد - وهو خليفة المسلمين، وأكبر حاكم في عصره - فقد طلبه الرشيد ليقرأ عليه الموطأ، فقال مالك: «إن العلم يُؤتى ولايأتي» وقام الرشيد يمشي مع مالك إلى منزله يسمع منه الموطأ، فأجلسه معه على المنصة، وأراد أن يقرأ، على مالك، فقال ليخرج الناس عني حتى أقرأه أنا

---

(١) اقرأ في ذلك كتب تراجم العلماء، وتاريخ الثقافة الإسلامية في مختلف الأمصار، وخاصة كتاب «صفحات من صبر العلماء لفضيلة الشيخ عبد الفتاح أبو غدة (بيروت، دار البشائر الإسلامية) وكتاب «نزهة الخواطر» (١ - ٨) بالعربية للعلامة السيد عبد الحي الحسني (طبع دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد - الهند).

www.abulhasanalinadwi.org

عليك، فقال: «إن العلم إذا منع من العامة لأجل الخاصة لم ينفع الله به الخاصة»، وقال مالك لهارون: «ياأمير المؤمنين أدركت أهل العلم ببلدنا وإنهم ليحبون التواضع، فنزل هارون عن المنصة وجلس بين يديه وسمعه»[٢].

وقد كانت الحركة العلمية في المسلمين حركة شعبية عمت جميع الطبقات والمستويات، وأصبحت الدراسة هواية للجميع يتظرف بها حتى أهل الحرف والمهن، يقول A. J. Hammerton في كتابه «التاريخ العام للعالم» (Universal Histoty of the World) :

«لقد أصبح كل مسلم - من الخليفة إلى الصناع - ولوعاً نهماً بالعلم والسياحة وكان ذلك أجل خدمة قام بها الإسلام نحو الحضارة العالمية، وقد تقاطر رواد العلم من كل صقع على مركز ثقافي كبغداد، وكذلك كان الشأن مع مراكز أخرى للعلم والأدب، وكان ذلك يشبه تهافت فضلاء الغرب على الجامعات ولكن الأول كان أكثر إثارة للحيرة والإعجاب.

غصت المساجد التى كانت جامعات إسلامية (ولاتزال

---

(٢) شذرات الذهب - ١/ ٢٩١.

www.abulhasanalinadwi.org

كذلك) بحشود من طلبة العلم الذين كانوا يقصدون هذه المساجد لتلقى العلوم الدينية، والفلسفة والطب والرياضيات، من العلماء الكبار، كان هؤلاء الأساتذة ينتمون إلى الأقطار التي تتكلم العربية، وكانوا يلقون دروسهم محتسبين متطوعين لاتهمهم الشهادات ولاتستهويهم الرواتب والأجور، ليس عليهم إشراف من أحد ولا رئاسة ومراقبة، فإذا كانوا بارعين متفوقين في موادهم الدراسية انهالت عليهم جموع من التلاميذ، وكانوا يقدرون ويعظمون بمقياس براعتهم واختصاصهم في موضوعاتهم وينالون ما يفوتهم متطوعين متقللين[١] .

وقد كان الإيمان والاحتساب، وما روى واستفاض في فضل التعليم من الثواب الجزيل والقرب عند الله، والتطوع في سبيله وإيثار حياة الزهد والتقشف لأجله وإيثاره على حياة الرخاء والثراء والرواتب الضخمة التى يتقاضاها المعلمون المحترفون والمرتزقة من الماهرين في الفنون من الحكومات، هو الرائد الحافز لهؤلاء العلماء المحتسبين، حتى رويت عنهم حكايات يصعب تصديقها لولا رواية الثقات والتواتر وما عرف وتحقق من معرفة نفسية هؤلاء العلماء الأفذاذ ورئاستهم.

---

(1) Universal History of The World, A. J. Hammerton, London, Vol. 1v, p. 2533,

www.abulhasanalinadwi.org

ونكتفى في ذلك بحكاية لعالم عاش في أواسط القرن الثالث عشر الهجري، أوائل القرن التاسع عشر المسيحي،وهو الشيخ عبد الرحيم الرامفروي:

كان الشيخ عبد الرحيم (ت ١٢٣٤هـ) يدرس في رامبور، وعرض عليه والي منطقة روهيل كهند، الإنجليزي المستر هاكنس منصب التدريس في كلية بريلي، براتب شهرى يبلغ مائتين وخمسين روبية (تقدر قيمته الآن بأكثر من ألفى روبية) ووعده بأن راتبه سيزاد فيه ويرفع مستواه. فاعتذر قائلاً بأن إمارته تدفع إليه عشر روبيات وستوقف هذه المنحة، فقال له هاكنس: إنه عرض عليه أضعاف هذا القدر وما عشر روبيات أمام مائتين وخمسين روبية، فقال إن في بيتي شجرة سدر حلوة وهي محببة إلي كثيراً، فكيف السبيل إليها في بريلي، ولم يتطرق ذهن هذا الإنكليزي إلي حقيقة الأمر الذي كان يدور بخلد الشيخ فقال له: إني سأرتب لإيصال ثمرة هذه الشجرة إليك في بريلي، فقال: إن لي تلاميذ في رامبور، فكيف أتركهم، وسأحرم فرصة خدمتهم. وحاول الإنكليزي إقناعه، فقال إني سأقدم إليهم المنح الدراسية وسيواصلون دراستهم في بريلي، ولم يبق في جعبة الشيخ إلا سمهه الأخير، فأطلقه،

www.abulhasanalinadwi.org

وقال: صحيح ما تقول، ولكن ما يكون جوابي يوم القيامة على الارتزاق بالتدريس؟!![1] .

## الحركـــية:

٣- ومما امتازت به الحركة العلمية في تاريخ الإسلام وفي عالم الإسلام، الحركية التي تجلت في تحمل المشقات وقطع المسافات للحصول على العلم والتوسع والاختصاص في الدراسة، وفي سبيل رواية الحديث الصحيح والإسناد العالي، والتحقيق العلمي، والفحص اللغوي، تم في سبيل تبليغ الأحكام الشرعية ونشر العلم الديني في البلدان المختلفة، والمسافات البعيدة، وكتب التاريخ والتراجم مشحونة بالأمثلة الرائعة. والنماذج المحيرة، خصوصاً ما ألف في سير المحدثين، وفي تاريخ تدوين الحديث وجمعه وحفظه[2] ويكفي في ذلك ما ذكره العلامة ابن خلدون (م٨٠٨هـ) من فوائد الرحلة في طلب العلم في مقدمته الشهيرة، يقول رحمه الله:

---

(١) «ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين» للمؤلف نقلاً من «نزهة الخواطر» ص/ ٣٢٤.

(٢) راجع «تذكرة الحفاظ» للعلامة الذهبي، و «السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي» للدكتور مصطفى السباعي، و «رجال الفكر والدعوة» الجزء الأول، عنوان «حركة الجمع والتدوين في القرن الأول والثاني» و «المحدثون وعلو همتهم» ص؛ ٩٩: ١٠٢.

www.abulhasanalinadwi.org

«إن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخة مزيد كمال في التعليم، والسبب في ذلك أن البشر يأخذون معارفهم وأخلاقهم وما ينتحلون به من المذاهب والفضائل، تارة علماً وتعليماً وإلقاء، وتارة محاكاة وتلقياً بالمباشرة، إلا أن حصول الملكات عن المباشرة والتلقين أشد استحكاماً وأقوى رسوخاً، فعلى قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها، والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم ولايدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من العلمين، فلقاء أهل العلوم وتعدد المشايخ يفيده تمييز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها فيجرد العلم عنها ويعلم أنها مناحي تعليم، وطرق توصل وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان وتصحح معارفه وتميزها عن سواها مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم، هذا لمن يسر الله عليه طرق العلم والهداية، فالرحلة لابد منها في طلب العلم لاكتساب الفوائد والكمال بلقاء المشايخ ومباشرة الرجال، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم[1].

---

(١) مقدمة ابن خلدون، طبع مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ص/٧١٢.

www.abulhasanalinadwi.org

## الفتوة والعمل بالعزيمة:

٤- وقد امتاز علماء المسلمين بعلو الهمة، والشهامة والفتوة في الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وكلمة الحق عند السلطان الجائر، والصمود في وجه الانحرافات والمؤمرات المحبوكة في دائرة الحكومات أو المجتمعات الإسلامية، والكفاح والنضال، وقيادة حركة الجهاد ،وتحرير البلاد، ومطاردة القوى الأجنبية، والحكومات المعادية للإسلام إذا احتيج إلى ذلك، وإن الدارس لتاريخ الجهاد والحركات الإصلاحية التجديدية من العصر الإسلامي الأول إلى عصرنا هذا، لايمر بصفحة من صفحاتها، وفصل من فصول تاريخها الطويل الذي يكاد يكون متصلاً، إلا ويرى على رأسها، وفي مركز القيادة منها عالماً من علماء الدين، أو مربياً من الشيوخ الربانيين، هو منبع هذه الفكرة ومصدر هذه الحركة، منها تبتدئ وإليها تنتهي[1].

---

(١) والموضوع واسع مترامي الأطراف ينتظر مؤرخاً واسع النظر، صبوراً في الدراسة والتحقيق وفي كتابنا «ربانية لارهبانية» بعض أضواء على بعض شخصيات قيادية في عديد من الأقطار الإسلامية العربية، راجع «بطولة وكفاح، لابطالة واستسلام ص/١١٣-١٣١، الطبعة الثامنة، طبع مؤسسة لرسالة.

www.abulhasanalinadwi.org

- إنها لظاهرة مشتركة بين الأقطار الإسلامية والعربية التي تحررت من نير الاحتلال الأجنبي الذي يسمى بالاستعمار الأوربي الذي سيطر على العالم الإسلامي من الرباط ومراكش في الشمال الغربي إلى إندونيسيا. وماليزيا في الجنوب الشرقي وحتى الجزائر بلد المليون شهيد، وشبه القارة الهندية وغيرهما كلها تشترك في هذا الجانب، فقد قاد حركة التحرير دائماً علماء الدين الراسخون في العلم المعترف بمكانتهم العلمية والدينية حتى وإن سرق الشيوعيون والملاحدة بعض ثمار جهادهم!!

## التركيز على العلم النافع:

٥- التركيز على العلم النافع، الحامل للهداية والكافل للنجاة، والمفيد في الآخرة وهو العلم الذي لاسعادة للإنسان ولانجاة له بغيره، ويعرف به خالقه وفاطر هذا الكون، ومدبر هذا العالم، وصفاته العالية، والصلة التي بينه وبين عبده وما يرضيه تبارك وتعالى وما يسخطه، وما يشقى الإنسان في الدار الآخرة وما يسعده، يقول الله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِنْ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾[1] ويقول: ﴿بَلْ

(١) سورة الروم: ٧.

www.abulhasanalinadwi.org

ادَّارَكَ عِلْمُهُم فِي الآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا، بَلْ هُم مِنْهَا عَمُونَ﴾[٢] . ويقول: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالأَخْسَرِينَ أَعْمَالاً، الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعاً، أولئكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُم فَلاَ نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْناً﴾[٣]

وقد جاء في الحديث: «اللهم إني أعوذ بك من علم لاينفع، ومن قلب لايخشع، ومن نفس لاتشبع، ومن دعوة لايستجاب لها»[٤] .

## حين لا تنفع العلوم والآداب، وينفع علم يستطيع به الإنسان أن ينال النجاة والسلامة:

ونختم هذا البحث بقصة خفيفة مسلية تصور الفرق بين العلم النافع الذي تتحقق به السلامة وتحصل به النجاة، والعلوم التي لاتتوقف على معرفتها السلامة والنجاة - على ما فيها من منافع ومصالح - وقديماً استعان العلماء والأدباء بالقصص،

---

(٢) سورة النمل: ٦٦.

(٣) سورة الكهف: ١٠٣ - ١٠٥.

(٤) رواه مسلم.

www.abulhasanalinadwi.org

ولعلها - على ما فيها من حكمة وموعظة - تخفف شيئاً من ثقل هذا البحث العلمي، وتزيل السآمة:

«يحكى أن فريقاً من تلاميذ المدارس ركبوا سفينة للنزهة في البحر أو الوصول إلى البر، وكان في النفس نشاط وفي الوقت سعة، وكان الملاح المجدف الأمي خير موضوع للدعابة والتنادر، وخير وسيلة للتلهي وترويح النفس، فخاطبه تلميذ ذكي جريء، وقال: ياعم ماذا درست من العلوم قال: ولاشيء ياعزيزي! قال: أما درست العلوم الطبيعية ياعمي؟ قال: كلا ولاسمعت بها، وتكلم أحد زملائه وقال: ولكنك لابد درست علم الأقليدس والجبر والمقابلة! قال: وهذا أغرب، وتصدقون إني أول مرة أسمع هذه الأسماء الهائلة الغريبة، وتكلم ثالث «شاطر» فقال: ولكني متأكد بأنك درست الجغرافية والتاريخ؟ فقال: وهل هما اسمان لبلدين أو علمان لشخصين؟ وهنا لم يملك الشباب نفوسهم المرحة وعلا صوتهم بالقهقهة، وقالوا: ما سنك؟ ياعم؟ قال: أنا في الأربعين من سني! قالوا: لقد ضيعت نصف عمرك ياعمنا وسكت الملاح الأمي على غصص ومضض، وبقي ينتظر دوره، والزمان دوار.

www.abulhasanalinadwi.org

وهاج البحر وماج وارتفعت الأمواج، وبدأت السفينة تضطرب والأمواج فاغرة أفواهها لتبتلعها، واضطرب الشباب في السفينة - وكانت أول تجربتهم في البحر - وأشرفت السفينة على الغرق، وجاء دور الملاح الأمي، فقال في هدوء ووقار: ما هي العلوم التى درستموها ياشباب؟ وبدأ الشباب يتلون قائمة طويلة للعلوم والآداب التي درسوها في المدرسة، وتوسعوا فيها في الجامعة من غير أن يفطنوا لغرض الملاح الجاهل الحكيم، ولما انتهوا من عد العلوم المرعبة أسماؤها، قال في وقار تمزجه نشوة الانتصار: لقد درستم ياأبنائي هذه العلوم الكثيرة، فهل درستم علم السباحة؟ وهل تعرفون إذا انقلبت هذه السفينة - لاقدر الله - كيف تسبحون وتصلون إلى الشاطئ بسلام؟ قالوا: لا والله ياعم، إنه العلم الوحيد الذي فاتتنا دراسته والإلمام به، هنالك ضحك الملاح وقال: إذا كنت قد ضيعت نصف عمري فقد أتلفتم عمركم كله، لأن هذه العلوم لاتغنى عنكم في هذا الطوفان، إنما كان ينجدكم العلم الوحيد، هو علم السباحة الذي تجهلونه!!

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

# الفهرس


| الموضوع | ص |
|---|---|
| ١ـ المقدمة ..... | ٣ |
| ٢ـ اعتذار وتوضيح ..... | ٩ |
| ٣ـ اليونان القديمة ودورها القيادي الساحر في عالم العلم والعقل ..... | ١١ |
| ٤ـ الهند القديمة ومكانتها في الفلسفة والعلوم الرياضية ..... | ١٣ |
| ٥ـ إيران في سعة مملكتها وأوج حضارتها ..... | ١٥ |
| ٦ـ تناقضات عجيبة في حياة الشعوب الثلاثة القائدة للعالم ... | ١٨ |
| ٧ـ مجموع أساطير الميثالوجيا عند اليونان ..... | ١٩ |
| ٨ـ انتباه بعض كبار علماء الإسلام لهذه الحقيقة ..... | ٢٢ |
| ٩ـ السر في اضطراب اليونان العقلي والعقدي ..... | ٢٣ |
| ١٠ـ علم الأصنام وكثرة الآلهة والإلهات عند اليونان ..... | ٢٥ |
| ١١ـ التطرف الإيراني العقائدي ..... | ٢٦ |
| ١٢ـ التفسخ الخلقي والانحلال الاجتماعي في مراكز العلوم والحكمة ..... | ٢٩ |
| ١٣ـ وحدات علمية متناثرة بعيدة عن الواقع ..... | ٣٦ |
| ١٤ـ البعد عن النبوات وتعاليمها هو السبب الرئيسي لشقاء هذه الشعوب والبلاد ..... | ٣٧ |
| ١٥ـ فضل النبوة والأنبياء والحاجة إليهم ..... | ٣٩ |
| ١٦ـ أساس للعقائد والأعمال والأخلاق والمدنية ..... | ٤٠ |
| ١٧ـ النبوة وتهذيب الأخلاق وتزكية النفوس ..... | ٤٢ |
| ١٨ـ الطريق الوحيد إلى الوحدة والتوحيد ..... | ٤٧ |


www.abulhasanalinadwi.org

١٩ـ العثور على الوحدة في الظواهر الكونية ..... ٤٨
٢٠ـ أثر عقيدة التوحيد في الظواهر الكونية ..... ٤٩
٢١ـ الدعوة إلى التفكر في الأنفس والآفاق وماضي
الأمم والمجتمعات وفائدته ..... ٥٠
٢٢ـ الحركة العلمية العالمية الفريدة التي أنشأتها
تعاليم الإسلام ..... ٥٤
٢٣ـ أكبر انحراف وقع في خط التقدم العلمي في أوربا ..... ٥٥
٢٤ـ تعليم الأسماء لآدم كخليفة ومعناه العميق البعيد ..... ٥٦
٢٥ـ أعظم جهالة ظهرت على مسرح التاريخ ..... ٥٨
٢٦ـ خصائص الحركة العلمية الإسلامية ..... ٥٩
١ـ العالمية والإنسانية ..... ٥٩
٢ـ الشعبية ..... ٦٠
٣ـ الحركية ..... ٦٥
٤ـ الفتوة والعمل بالعزيمة ..... ٦٧
٥ـ التركيز على العلم النافع ..... ٦٨

www.abulhasanalinadwi.org

رقم الإيداع ٨٨/١٨٩٩

٩٧٧ - ١٤٣١ - ٢٣ - ٤

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

دار وهلان للطباعة والنشر

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org